إسهامات المفكر عبد الرحمان بدوي في نقد الآراء الاستشراقية حول تاريخ السيرة النبوية"قضايا ونماذج في ضوء موسوعة المستشرقين "

The contributions of the intellectual Abderrahmane Badawi in criticizing Orientalist views on the history of the Prophet's biography "Issues and models"

د.محمد عيساوي*

mohamed.aissaoui@mail.univ-djelfa.dz

جامعة زيان عاشور، الجلفة .

تاريخ الاستلام: 2020/12/26 تاريخ القبول 2021/05/14 تاريخ النشر 2021/07/05

ملخص:

يتمحور المقال حول إسهامات المفكر الفيلسوف عبد الرحمان بدوي في النقد التاريخي للآراء الاستشراقية من خلال مؤلفه الموسوعي الموسوم بموسوعة المستشرقين؛حيث يوضح التعقيبات النقدية على نماذج من آراء المستشرقين المتعلقة بتاريخ السيرة النبوية – على وجه الخصوص– من مختلف انتماءات المدارس الاستشراقية، و هذا عبر انتقاء نماذج مهمة منها آراء المستشرق هنري لامنس من المدرسة البلجيكية،وكلا من المستشرقين ودافيد صمويل مرغيليوث ولويس اشبرنجر وبريدو من المدرسة البريطانية ،والأمير ليون كايتاني من المدرسة الايطالية،و تم التطرق أيضا إلى تفسير الأخطاء والثغرات المنهجية التي وقع فيها أولئك المستشرقون وغيرهم في تاريخ السيرة ، و بيان وجهات النظر لجملة من المحققين والباحثين المسلمين حول الردود التي أدلى بها عبد الرحمان بدوي في كتابه الآنف الذكر.

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمان بدوي؛ السيرة النبوية الشريفة؛ لويس اشبرنجر؛المستشرقون؛ ليون كايتاني ؛ مرجليوث.

Abstract:
The article focuses on the contributions of the philosopher Abderrahmane Badawi in the historical critique of the Orientalist views through his encyclopedic work, which is characterized by the orientalist encyclopaedia. The commentaries show examples of the orientalists' views on the history of the Prophet's biography - in particular - of the different affiliations of the Ashkenazi schools, Important examples include the views of orientalist Henri Lamnes of the Belgian School, Orientalists David Samuel Margiliuth, Louis Ashbranger of the British School, and Hermère Leon Kaitani of the Italian School, and the interpretation of errors and methodological gaps In which the Orientalists and others signed in the history of the biography, and the statement of views of a group of Muslim investigators and researchers on the responses made by Abderrahmane Badawi

key words: Orientalist ;Leone Caetani;Aloys Sprenger**;** Henri Lamnes**;** David Samuel Margilioth.

مقدّمة:

تبوّأت موسوعة المستشرقين للمفكر عبد الرحمان بدوي مكانة سامقة بالنسبة للباحثين المتخصصين في تاريخ الحركة الاستشراقية، و كذلك بالنسبة لجمهور القُرّاء والمثقفين؛ حيث انطوت على تراجم لجمهرة من المستشرقين على اختلاف جنسياتهم، وتباين توجهاتهم الفكرية، و تعدد اهتماماتهم البحثية ،ولقد تعلق عدد من تلك الأبحاث بتاريخ السيرة النبوية، وتعددت آراء الباحثين العرب والمسلمين اتجاه هذا الإنتاج العلمي الاستشراقي، بحسب توجه كل باحث ، ومن بين الذين اهتموا بدراسة هذا المجال الفكري الفيلسوف عبد الرحمان بدوي في مؤلفاته عموما ، و في موسوعة المستشرقين على وجه أخص.

ويتحرى هذا المقال الإجابة عن إشكالية رئيسة تتعلق بالموضوع ألا وهي: ماهي أبرز إسهامات المفكر الفيلسوف عبد الرحمان بدوي في نقد الآراء التاريخية للمستشرقين ذات الصلة بالسيرة النبوية من خلال كتابه موسوعة المستشرقين؟

و يتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة جملة من الإشكالات الفرعية يمكن بيانها فيما يلي:مَن هم أشهر المستشرقين الذين اهتموا بتاريخ السيرة النبوية والذين أوردهم عبد الرحمان بدوي في مؤلفاته؟وما هي أهم آرائهم؟ ماهي أهم التعقيبات النقدية على مؤلفات المستشرقين؟ إلى أي مدى توافق رأي عبد الرحمان بدوي مع المفكرين والنقاد العرب؟ هل نظر عبد الرحمان بدوي إلى المستشرقين بمنظار واحد؟ هل تحرّى الفيلسوف عبد الرحمان بدوي الموضوعية في النقد ؟ ماهي أبرز القضايا والنماذج الاستشراقية التي تعرض لها عبد الرحمان بدوي في كتابه موسوعة المستشرقين؟

أما بخصوص الدّراسات السابقة في الموضوع، ففي حدود بحثي لم أجد دراسة تتناول الجانب النقدي للمفكر الفيلسوف عبد الرحمان بدوي لآراء المستشرقين في السيرة النبوية في ضوء موسوعة المستشرقين،والدراسة الأكاديمية الوحيدة التي عثرت عليها في هذا الصدد تتعلق بالجانب الفلسفي وجهوده في دراسة المذاهب، ويتعلق الأمر بالدراسة التالية الموسومة ب: "عبد الرحمان بدوي ومذهبه الفلسفي ومنهجه في دراسة المذاهب "عرض ونقد" للباحث عبد القادر بن محمد الغامدي،وأصل هذا الكتاب رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة،ونوقشت في 27/ 1428/05هـ،وتتناول هذه الدراسة ترجمة مفصلة لحياته ،ومذهبه الفلسفي،ومنهجه وجهوده في دراسة المذاهب،وتخلو هذه الدراسة من بيان جهود عبد الرحمان في نقد آراء المستشرقين في السيرة النبوية.

وتتمثل أهداف الدراسة في:

– تتبع آراء المستشرقين الخاصة بالسيرة النبوية في ضوء موسوعة المستشرقين، ومقارنة هذا الآراء بما ورد في المصادر الأصلية و التكميلية للسيرة النبوية،وكذا بما ورد في دراسات الباحثين و المفكرين العرب المسلمين.

– معرفة الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المستشرقون في بحوثهم عن السيرة النبوية في ضوء إسهامات المفكر عبد الرحمان بدوي.

– الاطلاع على توجه عبد الرحمان بدوي اتجاه الإنتاج العلمي الاستشراقي المتعلق بفترة مهمة من التاريخ الإسلامي ألا وهي السيرة النبوية.

– إدراك مدى توافق آراء الباحثين المعاصرين – خصوصا المتخصصين في حقل التاريخ الإسلامي– مع ردود عبد الرحمان بدوي ،أم أن آراء هذا الأخير حول دراسات المستشرقين خاطئة تحتاج إلى تصويب وتوجيه؟

أما منهج البحث المتبع فهو المنهج التاريخي و من أبرز آلياته الوصف والتحليل والمقارنة.

1– مدخل مفاهيمي حول الاستشراق.

يجدر بنا قبل الولوج إلى الموضوع التطرق إلى ماهية الاستشراق لغة واصطلاحا،وبدايته وأهم الدّوافع التي أدت إليه .

يمكن أن نُقسم ماهية الاستشراق إلى قسمين أحدهما لغوي والآخر اصطلاحي ،ونوضح هذا باختصار في النقطتين التاليتين:

1.1. المفهوم اللغوي:

لم ترد كلمة"الاستشراق" (Orientalism) في معاجم اللغة المختلفة،غير أن هذا الأمر لا يمنع الباحث مِن الوصول إلى معناها الحقيقي استنادا إلى قواعد علم الاشتقاق وعلم الصرف.وهذا يعني أن الكلمة ليست عربية أصيلة بل هي مولّدة عصرية،أكَّدت على ذلك بعض المصادر اللغوية الحديثة،تقول استشرق أي طلب علوم الشرق ولغاتهم يقال ذلك لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة. وبناء على ذلك فكلمة الاستشراق مشتقة من مادة "شرق"، يقال :شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت." وكما هي مولَّدة

عصرية في اللغة العربية فهي كذلك في اللغة الأجنبية فقد ظهرت كلمة مستشرق(Orientalist) في انجلترا عام1779 م،وكلمة مستشرق في فرنسا(Orientalist) عام1799م ثم أدرجت كلمة الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1938م. [1]

2.1. المفهوم الاصطلاحي:

تتباين وجهات النظر حول مدلول كلمة الاستشراق من ناحية الاصطلاح[2]، فيرى الباحث محمود حمدي زقزوق،أن للاستشراق معنيين،أولهما المعنى العام و يطلق على"كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله:أقصاه ووسطه وأدناه،في لغاته وآدابه،وحضارته،وأديانه"،وأما المعنى الخاص فيقصد به من يعتني "بالدراسات الغربية المتعلقة بالمشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام."وهذا الأخير هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي عندما ينطق استشراق ومستشرق،وهو الغالب أيضا على الكتابة الاستشراقية. [3] وهناك تعريف آخر ارتضاه عبد المنعم فؤاد للاستشراق ،حيث يرى بأنه :"دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب عقيدة وشريعة ولغة وحضارة بقصد التشكيك في هذا الدين القويم وإبعاد الناس عنه."[4]

2- بداية الاستشراق:

اختلف الباحثون حول تحديد نقطة البداية للاستشراق،إذ يرى البعض أن بدايته كانت أيام الحروب الصليبية،بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري،وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين، ويرى البعض أن الغرب النصراني يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي في عام 1312م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية. ويقول الباحث حمدي زقزوق معقبا على هذا الرأي أن الإشارة هنا إلى الاستشراق الرسمي تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا

التاريخ،هو على حد تعبير الباحث محمد البهي بمثابة محاولات فردية،ويكاد المؤرخون يجمعون على أن القرن الثالث عشر بداية رسمية،ثم انتشر بصفة رسمية بعد ما يسمى في التاريخ الأوربي بحركات الإصلاح الديني.[5]

3- دوافع الاستشراق:

تعددت الدوافع التي أدت إلى الظاهرة الاستشراقية ،فهناك دوافع دينية ،وأخرى متعلقة بالحركة الاستدمارية(الاستعمارية)،كما أن الدافع التجاري حاضر بقوة في هذه الدوافع،وفي الأخير لا ننسى حضور الجانب العلمي لدى ثلة من المستشرقين المنصفين.و يمكن أن نبين شرح ذلك بإيجاز فيما يلي:

1.3.الدافع الديني:

بدأ الاستشراق بالرهبان الذين كان همهم الأول الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه،ليثبتوا لجماهيرهم أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار،كما التصق بهذا الجهد كله مرامي التنصير في أوساط المسلمين.[6]

2.3.الدافع الاستدماري:

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة المسلمين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي باطنها حروب استدمارية،اتجه الغربيون إلى طريقة أخرى لاستداره، فعملوا على دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وأخلاق وعادات ومختلف الثروات،ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيُضعفوها،وإلى مواطن الضعف فيغتنموه،ولما تم لهم الاستيلاء العسكري،والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف روح المقاومة في نفوس المسلمين ،وبث الوهن والارتباك في تفكير الأمة المسلمة،وذلك عن طريق التشكيك ما بأيدينا من تراث،وما عندنا من عقيدة وقيم

إنسانية،فنفقد الثقة بأنفسنا،ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية ،وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لثقافتهم. [7]

3.3.الدافع التجاري:

يتمثل في رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان،ولقتل الصناعة المحلية التي كانت قائمة في بلاد العرب المسلمين . [8]

4.3.الدافع العلمي:

أقبل نفر قليل من المستشرقين على الاستشراق بدافع حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها،وهؤلاء كانوا أقل خطأً في فهم الإسلام وتراثه،لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف،فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث جمهرة من المستشرقين،بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام فآمن به. [9]

وتبعا لهذه الدوافع هناك من يقوم بتقسيم مراحل الاستشراق إلى المرحلة الدينية وهي ذات صلة وطيدة بالتنصير،ثم المرحلة العسكرية وتتجلى فيها آثار الحملات الصليبية ،ومن بعد مرحلة الاستدمار (الاستعمار)، ويعقبها في الآخر المرحلة العلمية. [10]

4- ترجمة موجزة للمفكر الفيلسوف عبد الرحمان بدوي:

تكتسي السيرة الذاتية العلمية والعملية للفيلسوف عبد الرحمان بدوي أهمية بالغة في الدراسة،حيث انعكست انعكاسا مباشرا على تحصيله،و إنتاجه العلمي ونوجز هذه السيرة في المراحل التالية :

1.4. مولده ووظائفه :

ولد عبد الرحمان بدوي في الثاني عشر من ربيع الآخر سنة 1335هـ-الموافق للرابع من فبراير سنة 1917م في مصر،وكان من أسرة ريفية موفورة الثراء،وكان والده وهو بدوي بدوي محمود متدينا كما يصفه بذلك ابنه عبد الرحمان حيث تعلم القرآن،وكان يديم النظر في الكتب الدينية، شديد الحرص على أداء الصلاة في مواعيدها،والزكاة في

مواسمها،وحج إلى مكة المكرمة سنة 1356هـ/ 1937م[11]،أما عن ابنه عبد الرحمان- محل الدراسة- فأهم مراحل حياته العلمية هو تحصله على درجة الماجستير في الفلسفة،ثم نال درجة الدكتوراه في نفس التخصص،وبعد ذلك تم تعيينه مدرسا بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول(1949م)،ثم انتقل في السنة الموالية إلى كلية الآداب الجديدة بجامعة عين شمس والتي عُيِّن فيها رئيسا لقسم الفلسفة والاجتماع،وفي سنة 1956م تم تعيينه مستشارا ثقافيا ورئيسا للبعثة التعليمية في سويسرا حتى سنة 1958م ،ورشحته مصر عام 1999م للحصول على جائزة نوبل،وبعد هذا المسار الحافل بالمسؤوليات العلمية والإدارية وافته المنية في القاهرة يوم الخميس 16 جمادى الأولى 1432هـ الموافق ل 25 يوليو 2002م بسبب مرض أصيب به قبل موته بأشهر. [12]

2.4 أهم مؤلفاته:

إن كتابات بدوي متعددة،وجهوده متشعبة،وإنتاجه ضخم،وهو من السعة والثراء بحيث تعجز عن القيام به هيئات علمية ذات إمكانيات كبيرة،فقد قام بمفرده في الفترة المعاصرة بمثل ما قام به نظراؤه من جهد في عصر الترجمة الممهد للحضارة الإسلامية في القرون الأولى للهجرة،ومن أهم مؤلفاته كتابه موسوعة المستشرقين[13]، و من إنتاجه ذي الصلة بتاريخ السيرة النبوية "دفاع عن القرآن ضد منتقديه"[14] ،والآخر"دفاع عن محمد ضد المنتقصين مِن قدره[15] كشف فيها حقائق عدد من المستشرقين،وكبار الفلاسفة الأوربيين،وبين انحراف كبارهم عن الأمانة العلمية،وعن البحث عن الحقيقة،وبَيَّن سخافاتهم وحقدهم على الإسلام،والقرآن،والنبي محمد صلى الله عليه وسلم.وكان رده عليهم بطريقة راقية، وبحجج عقلية منطقية،بل وتراه يتفانى في الدفاع عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

5. الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالسيرة النبوية في موسوعة المستشرقين وردود عبد الرحمان بدوي عليها:

إن بدوي لم يقدم لنا دراسة في الاستشراق أو بحث عام في توجهات المستشرقين مثلما فعل إدوارد سعيد في كتابه"الاستشراق"[16]أو فؤاد زكريا في دراسته"نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية"[17]،أو غيرهما من الباحثين[18]،بل ترجم أعمالهم وقيَّم دراساتهم في كتابيه موسوعة المستشرقين"و"تاريخ العلوم عند العرب"، و يلاحظ الباحث من خلال مؤلفات عبد الرحمان بدوي أ نه قد تعددت مشارب المستشرقين وطرقهم للولوج إلى دراسة تاريخ السيرة النبوية ،بتعدد ثقافاتهم و توجهاتهم الفكرية و العقدية والعلمية،فكل مدرسة استشراقية [19]كان لها سبيلها في دراسة حقبة السيرة ، ولقد رصد المفكر عبد الرحمان بدوي في مؤلفاته عددا من الملاحظات العامة حول هذا الإنتاج العلمي للمستشرقين حسب كل مدرسة،ولهذا سننتقي نماذج استشراقية تعبر عن آرائها ومنهجها في دراسة السيرة النبوية الشريفة .

1.5. عبد الرحمان بدوي ونقد آراء المستشرق البريطاني دافيد صمويل مرجليوث (D/SMargoliouth)حول السيرة النبوية:(1858م–1940 م):

يُميِّز المفكر عبد الرحمان بدوي بين الإنتاج العلمي للمستشرق مرجليوث المسيء للسيرة النبوية الشريفة، و بين ما أسهم به من نشرات لعدد من كتب التراث العربي، حيث يُحَدِّد الجانب الأول بطريقة مُجملة بقوله:" في سنة 1905م بدأ نشر دراساته عن الإسلام،وذلك بكتاب"محمد ونشأة الإسلام"،لكن هذه الدراسات كانت تسري فيها روح غير علمية ومتعصِّبة،مما جعلها تثير السخط عليه ليس فقط عند المسلمين،بل وعند كثير مِن المستشرقين،وبنفس الروح كتب محاضرات بعنوان"العلاقات بين العرب واليهود."[20]

و يظهر من خلال هذا أن التعصُّب هو أبرز السمات التي تغلب على دراساته في السيرة النبوية الشريفة،كما يتبين أن انحرافه عن المنهج العلمي في البحث التاريخي أدى إلى تعرضه لانتقاد من المسلمين والمستشرقين على حدٍّ سواء.

و لا يعني ذلك نسيان الجانب الإيجابي الآخر لهذا المستشرق وفضله حيث يقول عبد الرحمان بدوي مُشِيدا بجهوده في النشر[21] لعدد من كتب التراث العربي،ومُحَذِّرًا -في الوقت نفسه- مِن البحوث التاريخية"المغرضة"السابقة حيث قال :"ولهذا فإن فضل مرجليوث الحقيقي ينبغي أن لا يلتمس لا في هذه الأبحاث المغرضة،بل في نشراته الكثيرة،وعلى رأسها نشرته لمعجم الأدباء لياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1299م)[22](نشر سنة 1907- 1927م)،ولرسائل أبي العلاء المعري(ت449هـ/1057م)[23](نشر سنة 1898م)،ونشوار المحاضرة للتنوخي (ت384هـ/994م)[24](نشر سنة 1921م)، ثم في ترجمته لقسم من تاريخ مسكويه(ت421هـ/1030م) [25] (نشر تجارب الأمم سنة 1920م)." [26]

و يتضح من خلال ما تقدم أن البحوث التاريخية الخاصة بالسيرة النبوية التي قدمها مرجليوث هي بحوث مغرضة،يغلب عليها التعصب، والبعد عن الموضوعية والحياد،بينما هناك جانب مهم أنصف فيه عبد الرحمان بدوي هذا المستشرق ألا وهو فضله في نشر مصادر مهمة في مختلف العلوم والمعارف،منها ما هو متعلق بكتب التراجم،وأخرى ذات صلة بالأدب العربي ،و كذلك مصادر تاريخية متنوعة .

2.5.المفكر عبد الرحمان بدوي و نقد آراء لويس شبرنجر(Aloys Sprenger) في السيرة النبوية:

استهل عبد الرحمان بدوي ترجمة اشبرنجر ببيان جنسيتيه الأصلية،والمكتسبة،وأشهر مؤلفاته حيث قال:"مستشرق نمساوي الأصل ثم تجنَّس بالجنسية الانجليزية،واشتهر بكتابه عن "حياة محمد صلى الله عليه وسلم."[27]

وشرع بعد ذلك ببيان جهود شبرنجر في جمع المادة العلمية المتعلقة بالسيرة النبوية،عبر رحلاته إلى خزائن الكتب والمخطوطات في العالم الإسلامي، والذي انتهى بتأليف كتاب حول حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعاليمه،إلا أنه يضيف تقييما علميا يُجْمِلُ سمات هذا الكتاب،حيث يقول:"وعلى الرغم من أن كتاب اشبرنجر حياة

محمد وتعاليمه هو أول كتاب أوربي استغل معظم المصادر العربية المتعلقة بسيرة النبي،وعلى الرغم من أنه عاش قرابة أربعة عشر عاما بين المسلمين في الهند،فإن كتابه هذا"حافل بالأحكام المسبقة"،و"التصورات الزائفة"،و"الأحكام المبالغ فيها ابتغاء المناقضة." [28]

ويبادر الفيلسوف عبد الرحمان بدوي إلى بيان الشواهد العلمية التي تؤكد هذا التقييم العلمي فيذكر صبغة"التحامل"الذي تظهر في كتابة اشبرنجر في السيرة النبوية فهو "متحامل على النبي (صلى الله عليه وسلم)،يعزو سبب رِدَّة القبائل بعد وفاته،إلى "تسرع الثقة بوفود القبائل الذين وفدوا عليه لإعلان إسلامهم." [29]

ولم يقتصر الأمر على التحامل على السيرة النبوية فحسب بل "ينساق اشبرنجر وراء الرأي القديم عند من كتبوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأوربيين،القائل بأن النبي صلى الله عليه وسلم،كان مُصابا بهستيريا الأعصاب ومن أعراضها انتشار الأعصاب وتقلّصها،وارتشاف الشفتين واللسان،ودوران الأعين مرة إلى هذا الجانب وأخرى إلى الجانب الآخر،وزعم أيضا أنه كان مصابا بهستيريا الرأس التي تؤدي إلى السقوط على الأرض واحمرار الوجه،وصعوبة التنفس والشخير،ويفيض اشبرنجر في هذا **الهذيان** الذي انتشر في القرن التاسع عشر،لدى بعض"المؤرخين"لتفسير عبقرية العظماء.[30]

وهذه الدّعوى تجنَّبَهَا حتى أشد المستشرقين عداوة للنبي والإسلام،وهو مرجليوث[31] في المادة التي كتبها عن"محمد"في"دائرة معارف الدين والأخلاق"،ولم يَعُد يأخذ بها أحد." [32]

وبالنسبة لهذه الجزئية فقد ناقشها كثير من الباحثين العرب والمستشرقين أنفسهم ،و من بينهم الباحث محمود حمدي زقزوق[33]،وكذلك المستشرق الفرنسي آتيين دينيه.[34]

كما أنه" يبالغ في حكاية ما زُعم من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ترضَّى آلهة العرب بأن أضاف"تلك الغرانيق العُلَى،وإن شفاعتهن لتُرتجى"[35]

وخلاصة قصة الغرانيق ذكرها العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى البحصبي (ت 544هـ):"ما رُوي مِن أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لما قرأ سورة

"والنجم" وقال:"**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**"[36] قال(تلك الغرانيق العُلا وإن شفاعتها لتُرتجى)ويُروى (تُرتضى)وفي رواية "إن شفاعتها لتُرتجى،وإنها لمع الغرانيق العُلا) فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم،وسجد المسلمون معه،والكُفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم،وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه،وأن النبي صلى الله كان تمنَّى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه."[37]

ويبدو أن المفكر عبد الرحمان أصاب في نقده لرأي اشبرنجر،حيث استعمل عبارات تمحيصية تُعبر بدقة عن دحض هذه الرواية،ومنها"حكاية"،و"يُبالغ"،و"زُعِم"،وكلها صيغ نقدية توضح تهلهل بنيان هذه الرواية،فهي بين المبالغة و مرورا بالحكاية و انتهاء بالمزاعم ،وتتنافى مع القاعدة الشهيرة إذا كنت ناقلا فالصحة،وإذا كنت مُدَّعِيًا فالدليل.

ويعضد هذا ما ذهب إليه العلماء المسلمون المحققون الأوائل والمتأخرون،وحتى أحد المؤرخين المستشرقين ومنهم كايتاني، ويمكن تفصيل ردود أهم المحققين ومن بينهم على سبيل المثال القاضي عياض الذي أثبت تهافت هذه القصة في مؤلفه الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم. حيث فندها وذكر مآخذ عليها منها: أن هذه الرواية" لم يُخرجها أحد من أهل الصحة،ولا رواه ثقة بسند سليم متصل،وإنما أُولِع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب،المتلقفون مِن الصحف كل صحيح وسقيم. "[38] وأثبت توهين هذا الخبر من طريق النقل،ومن جهة المعنى؛"فقد قامت الحجة،وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مِثل هذه الرذيلة."[39]

كما نحا الباحث شوقي أبو خليل منحى عبد الرحمان بدوي مستثنيا في ذلك من قال بنفيها حيث قال: "يكاد يجمع المستشرقون على قبول مسألة الغرانيق على أنها قضية مُسَلَّمة،دون عرضها على محك النقد والتحليل،أو العقل و المنطق والتمحيص،كأنهم لا يحبون أن ينكشف الحق في مسألة تصلح موضعا للكلام والتجريح باستثناء المؤرخ

الايطالي "غيتاني" الذي جرى مع المحققين من علماء المسلمين على إنكار قصة الغرانيق لتهافتها في الإسناد وفي الحوادث. [40]

"ويُحاول الحطّ من دور النبي صلى الله عليه وسلم في انتصارات الإسلام الهائلة،واتساع رقعة دار الإسلام في فترة وجيزة جدا،بأن يبالغ في تمجيد الشيخين أبي بكر الصديق ،وعمر بن الخطاب،فيقول عن أبي بكر:"خليفته أبو بكر استخدم الوسائل التي كان واجبا وممكنا للنبي أن يستخدمها لإخضاع العرب فعلا وحقا،لا بحسب الظاهر فحسب،ولولا تصرف أبي بكر الحازم لكان الإسلام قد انحلّ،أو بقي مجرد فرقة دينية لا أهمية لها ." [41]

ويقول عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب :"عمر هو المؤسس الحقيقي للدولة الإسلامية،وفي نظري أن عمر أسمى من النبي في كل ناحية،فهو خلو من كل ألوان الضعف والتساهل التي وصمت أخلاق الأخير وكان رجلا مملوءا بالجد والعزم الرجوليين ،وبعد وفاة النبي استطاع الظفر بثقة كل الأطراف وكل القبائل بفضل إيثاره،وصراحته وسلامة نظرية(نظرته)،وكانت كلمته هي كلمة الجميع،وأثناء حياة النبي أدى من الخدمات لانتصار الإسلام،بل ولطهارة تعاليمه،اكثر من محمد نفسه،وقد صان معلمه(النبي) من الوقوع في أخطاء فاحشة بفضل إقدامه الحازم،وكان لعقله الفائق تأثير متواصل على نفسية محمد الضعيفة الهستيرية ." [42]

ويقدم الناقد عبد الرحمان بدوي خلاصة تقييمة أخرى في آخر ترجمة هذا المستشرق فقال:"وهذا نموذج كاف للحكم على فساد الرأي،وتغلغل الحقد،والشطط في التقدير عند اشبرنجر،وهذه العيوب تسود كل كتاب"حياة محمد وتعاليمه"حتى في التفاصيل الجزئية التي يتسع فيها المجال لإلقاء الأحكام." [43]

3.5. نقد المفكر عبد الرحمان بدوي لكتاب حياة محمد للمستشرق الإنجليزي بريدو(Humphrey Prideaux):

تقوم شهرة المستشرق بريدو على كتابه حياة محمد الذي ظهر سنة 1697م ، وسيرة النبي كما أوردها بريدو في كتابه يراها المفكر عبد الرحمان بدوي "حافلة بالأخطاء والأوهام"،أما بخصوص "الروح التي كُتِب بها هذا الكتاب فهي التعصب الشديد ضد الإسلام وهذا يتجلى من العنوان الكامل للكتاب وهو "الطبيعة الحقيقية للخداع كما يتجلى كاملا في حياة محمد" ويزعم في المقدمة أنه يقصد إلى تبرئة المسيحية من الخداع ببيان أن الخداع هو الموجود في الإسلام.[44]

وبهذا يتبين أن سبب وقوع المستشرق بريدو في الأخطاء والأوهام هو تعصبّه المقيت ضد الإسلام وبعده عن التزام الموضوعية في معالجة حوادث السيرة النبوية.

4.5.الأمير الإيطالي ليوني كايتاني(Leone Caetani) والسيرة النبوية في ميزان نقد عبد الرحمان بدوي:

مستشرق إيطالي،وأمير من آل كيتاني وهي أسرة من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا الحديثة،واشتهر خصوصا بكتابه حوليات الإسلام[45] ،وهي أوسع تاريخ للإسلام في عصر النبي محمد والخلفاء الراشدين.[46]

يتسم منهج كايتاني في تفسير التاريخ بالمادية البحتة،فهو "ينزع في كتابته للسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين الأربعة نزعة نقدية مفرطة،تتسم بالشك المبالغ فيه أحيانا في قبول وثائق التاريخ الإسلامي،وباعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأحوال الجغرافية مع إهمال الجانب الديني تماما،وعلى هذا الأساس فسّر رسالة النبي محمد والفتوح الإسلامية السريعة العظيمة في دولتي الفرس والروم،ولم يحسب أي حساب لتأثير الإيمان بالدين الجديد في نفوس العرب الفاتحين،ولا في تفسير نفوذه أولا في الجزيرة العربية نفسها." [47]

نلاحظ من خلال مقولة عبد الرحمان بدوي التقييمة أن تفسير كايتاني لسرعة الفتوحات الإسلامية يخلو من الجانب العقائدي وأبرز تجلياته الإيمان بالله وأثره في الانتصار ، وبالتالي نلاحظ أن كايتاني قد وقع في مغالط كثيرة أولها الإفراط في النقد

المتسم بالشك المبالغ فيه،والتركيز على التفسير المادي،وإهمال البعد الديني في تفسير القضايا الكبرى وأبرزها الرسالة المحمدية والفتوحات الإسلامية.

و في نفس الصدد يعزو عبد الرحمان بدوي نظرة كايتاني للفتوحات الإسلامية إلى تأثر كايتاني "بنظرية –عالم الآثار والمؤرخ الألماني – هوجو فنكلر (Hugo Winckler)القائلة بأنه حدث تصحر وجدب تدريجي في الجزيرة العربية في العصر التاريخي —وأن ذلك الجدب هو السبب العميق — في نظره– في قيام النبي محمد برسالته وفي قوة انتشار الإسلام في الدول المجاورة." [48]

و يذهب ليون كايتاني إلى ما ذهب إليه عدد من المستشرقين في بيان سبب انتصار المسلمين في الفتوحات الإسلامية "وفي تفسيره للانتصارات الإسلامية على دولتي الروم والفرس،بين ما كانت عليه دولة الساسانيين في فارس من انحلال،وما اضطربت به دولة الروم من منازعات دينية بين الفرق المسيحية المتشاحنة." [49]

ولقد تحدث المستشرقون عن ضعف الدولتين الفارسية والرومانية،وبالغوا في الإلحاح في ذلك وجعلوه من أهم الأسباب التي أدَّت للفتوحات الإسلامية،وانتصارات المسلمين،في محاولة منهم لتجريد المسلمين من كل فضل في الانتصار،حيث نالوه– حسب زعمهم– دون مشقة أو تعب.[50]

ومن أجود الردود النقدية على مزاعم المستشرقين فيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية مما ساقه ليون كايتاني وغيره، هو ما ذكره المستشرق البريطاني السير توماس أرنولد(Thomas Walker Arnold)[51] في كتابه الدعوة إلى الإسلام[52]،والباحث شوقي أبو خليل في بحثه الموسوم ب:"العهدة العمرية البعد الإنساني في الفتوحات العربية الإسلامية " و أثبت من خلاله تهافت دعاوى المستشرقين المتعلقة بالفتح الإسلامي،وبرهن على الجانب الإنساني لدى الفاتحين المسلمين،منها ما حدث في الخلافة الراشدة في معاهدة فتح بيت المقدس ،وآداب حروب الفتوح، وحقوق الذمي في دولة الإسلام،وغيرها. [53]

ويبين عبد الرحمان بدوي المنهج النقدي للمستشرق كايتاني في دراسة تاريخ صدر الإسلام بقوله:"والروح النقدية التي سادت نظرة كايتاني إلى السيرة النبوية وأولية الإسلام، لم تصدر عن تحامل على الإسلام كما هو حال الكثير من المستشرقين،بل عن نزعة وضعية في معالجة أحداث التاريخ،على النحو الذي صار شائعا عند المؤرخين ذوي النزعة العلمية الوضعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن." [54]

و تتوافق نظرة المفكر عبد الرحمان بدوي مع الباحث جواد علي ،حيث اعتبر هذا الأخير أن كيتاني كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث التاريخي،و هو من الذين يُبَيِّتُون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعد ما دون ذلك.،فلقد كان كيتاني(ذا رأي وفكرة) وضع رأيه وفكرته في السيرة قبل الشروع في تدوينها فإذا شرع بها استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به،ضعيفها وقويِّها،وتمسك بها كلها ولاسيما ما يلائم رأيه،ولم يبال بالخبر الضعيف بل قوَّاه وسنده وعدّه حُجَّة،وبنى حكمه عليه.

5.5. تعقيبات المفكر عبد الرحمان بدوي على آراء المستشرق هنري لامنس:(Henri Lammens)

ساهم الاستشراق البلجيكي في إغناء البحث في التراث العربي والفكر الإسلامي،وقد أنجبت المدرسة الاستشراقية البلجيكية أعلاما كشوفان فيكتور (Victor Chauvin) مؤلف البيبليوغرافيا الشهيرة حول المصنفات العربية التي نُشرت في أوربا في القرن التاسع عشر[55]،وأثار كتاب هنري بيران (Henri pirenne) جدلا واسعا وسط العلماء حول أطروحته التي تربط بين العصر الوسيط بأوربا والفتوحات الإسلامية،إذ يذهب أن إمبراطورية شارلمان ما كانت لتظهر لولا الإسلام الذي أحدث –حسب رأيه – قطيعة بين الشرق والغرب،فانكفأت أوربا على نفسها تتابع نسقها الحضاري القديم.[56]

ومن بين المستشرقين البلجيكيين الذين اهتموا بتاريخ السيرة النبوية هنري لامنس، الذي بدأ عبد الرحمان بدوي ترجمته بأنه : "مستشرق بلجيكي،وراهب يسوعي، شديد

التعصب ضد الإسلام،يفتقر افتقارا تاما إلى النزاهة في البحث ،والأمانة في نقل النصوص وفهمها،ويُعَدُّ نموذجا سيئا جدا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين." [57]

ونلاحظ من خلال هذه الترجمة أن وظيفة المستشرق التصقت مع مهمة الرهبنة،لأن لامانس تعلم في الكلية اليسوعية،وبجامعة القديس يوسف،وعاش حياة الرهبنة في كنف الآباء اليسوعيين،بجبل لبنان،واضطلع بالتعليم في معهد الكتاب المقدس،وانتهى به ترحاله إلى الاستقرار بجامعة القديس يوسف،مدرسا وممارسا للتنصير،وقد أشرف على مجلة البشير التي يدل اسمها على وظيفتها الدينية،ثم تولى إدارة جريدة المشرق التي كان يُصدرها الآباء اليسوعيون ببيروت.[58] وتظهر هذه الترجمة أن لامانس كان شديد الصلة بالمؤسسات الدينية التنصيرية ،وبهذا الخصوص يرى الباحث التونسي حسن بزاينية أن "هذه المحاضن الدينية لا يمكن في غالب الأحيان أن تنتج علما خالصا مِن تأثير العقيدة"[59]،و ظاهرة امتزاج وظيفة الاستشراق مع التنصير (المستشرق مع المبشِّر) موجودة في المدارس الاستشراقية الأخرى مثل الانجليزية ومن روادها ويليام موير(***William Muir***).[60]

ولم يكتف بهذا فحسب بل بادر عبد الرحمان بدوي إلى بيان الشواهد التاريخية التي تؤكد رأيه حيث ذكر بأنه "تحامل لامنس على السيرة النبوية تحاملا شديدا،زاعما أن القرآن وحده هو المصدر الذي يعتمد عليه في بيان سيرة النبي،وأن كتب الأحاديث كلها موضوعة مِن أجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد النبي،فلم يُقِم لكتب الحديث والسيرة،وهو في هذا لا يسوق أي دليل عقلي أو نقلي،ولا يرجع إلى مصادر أخرى عن السيرة،بل هو يُلقي الكلام جزافا ويعتمد على تحكمات ذهنية استقرت حسب معان ذهنية سابقة،ولم يكن لديه اطلاع باحث مثل جولد تسيهر(**Ignác (Yitzhaq (Yehuda) Goldziher**) [61]. "[62]

وفي هذا إقصاء لمصادر السيرة النبوية التكميلية،كما أن رأي لامانس هذا يقودنا إلى موقف بعض المستشرقين من القرآن الكريم كمصدر أساسي مِن مصادر السيرة،وذلك أن

اعتماد القرآن الكريم في هذا المجال يمكن أن يُعَدَّ سلاحا ذا حدَّين،ويتمثل الحد السلبي بنفي الكثير من الحوادث المتعلقة بالسيرة مادامت لم تَرِد في القرآن الكريم،وكأن القرآن الكريم كتاب تاريخي خاص بتفاصيل النبي صلى الله عليه وسلم،وهذا مكّنهم مِن عملية انتقاء مُغرضة ذات طابع هدمي معاكس،وهي التشكيك،أو نفي كل رواية لم ترد مؤيداتها في القرآن،ولاسيما إذا كان في هذه الرواية تمجيد للنبي صلى الله عليه وسلم،أو كان في نفيها تأكيد لإحدى وجهات النظر الاستشراقية.[63]

كما أن المفكر عبد الرحمان بدوي قام بمراجعات نقدية لمعظم الإحالات التي أوردها لامانس في كتابه "فاطمة وبنات محمد" وخلص إلى خلو كتبه من الأمانة العلمية،وسوء الفهم للنصوص حيث قال في هذا الشأن: "وأبشع ما فعله خصوصا في كتابه فاطمة وبنات محمد هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها،وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها،فوجدته إما أن يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقا في هذه الكتب،أو يفهم النص فهما ملتويا خبيثا،أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن،وخبث النية." [64]كما لا ننسى أن لامنس وقع في أخطاء تاريخية سببها انتهاج سبيل الشك غير العلمي،فينتقد سيرة فاطمة "الضخمة"و يذهب أنها مُخْتَلَقَة في معظمها .[65]

ويُقدِّم توصيات وإرشادات للقُرَّاء بخصوص إشاراته حيث يقول :"ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشارته إلى مراجع،فإن معظمها تمويه ،وكذب،وتعسف في فهم النصوص،ولا أعرف باحثا من المستشرقين المُحْدَثِين قد بلغ هذه المرتبة مِن التضليل وفساد النِّية. "[66]

ونلاحظ أن نقد عبد الرحمان بدوي لهذا المستشرق قد توافق مع كثير من المستشرقين والباحثين العرب على حدٍّ سواء، ونذكر من أولئك المستشرقين الفرنسي إميل درمنغهم (E.Dremenghem)[67] حيث قال عن لامانس:"ومن دواعي الأسف أن كان الأب لامانس- الذي هو مِن أفضل المستشرقين المعاصرين- مِن أشدِّهم تعصُّباً،وإنه شوَّه كتبه

الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه الإسلام ونبي الإسلام،فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولا عن القرآن؛فلا أدريي كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة،بدلا من أن يؤكد أحدهما الآخر."[68]

6. تقويم جهود المفكر عبد الرحمان بدوي النقدية وتفسير الأخطاء التي وقع فيها بعض المستشرقين

يتضمن هذا المبحث تصنيف وتقويم جهود المفكر الفيلسوف عبد الرحمان بدوي النقدية المتعلقة بآراء المستشرقين الذين كتبوا في السيرة النبوية،وكذلك تحديد التفسيرات المنهجية التي تبين سبب وقوع هؤلاء المستشرقين في أخطاء وثغرات منهجية نص عليها صاحب موسوعة المستشرقين،وغيره من الباحثين .

1.6. تقويم إجمالي للردود النقدية للمفكر عبد الرحمان بدوي :

يبدو من خلال التعقيبات والردود النقدية على المستشرقين الدارسين للسيرة النبوية من خلال كتاب موسوعة المستشرقين، أن عبد الرحمان بدوي ينتمي إلى فئة الباحثين المنصفين للمستشرقين وإنتاجهم العلمي؛والتي اعتدلت في أقوالها،وتجردت في أحكامها ،وأصدرت آراءها عن تعقل ودراية وموضوعية؛حيث بينت الجوانب الإيجابية التي أسهم فيها المستشرقون وعلى رأسها النشر والتحقيق لعيون وأمهات كتب التراث العربي الإسلامي كما سلف بيانه في ترجمة مرجليوث،وتوقف كثيرا عند الأعمال التي برزت فيها إساءات لتاريخ السيرة النبوية الشريفة مثلما بيّنه سابقا في ترجمته للمستشرق البلجيكي هنري لامانس؛فتم إيراد العديد من الاستدراكات والمراجعات النقدية للآراء الاستشراقية التي لا تنبني على أسس علمية صحيحة.

2.6. تفسير الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون عند دراستهم للسيرة النبوية:

يمكن عزو الأخطاء والثغرات المنهجية التي وقع فيها المستشرقون في السيرة النبوية إلى النقاط التالية :

أ- التفسير الأول : المبالغة في الشك،والافتراض ،والنفي واعتماد الضعيف الشاذ:

يكاد يكون هذا الملمح الأساسي في مناهج المستشرقين قاسما مشتركا،حيث يمضون في شكوكهم إلى المدى،ويطرحون افتراضات لا رصيد لها من الواقع التاريخي،بل إنهم ينفون العديد من الروايات لهذا السبب،بينما نجدهم يتشبثون – في المقابل- بكل ما هو ضعيف شاذ،مثل اعتمادهم على قصة الغرانيق التي أوردها المستشرق اشبرنجر سابقا.

ب- التفسير الثاني: إسقاط الرؤية الوضعية الغربية والتأثيرات البيئية المعاصرة على وقائع السيرة النبوية :

يبرز هذا التفسير في تعذر تجرد المستشرقين عن عواطفهم وبيئاتهم ونزعاتهم المختلفة، حيث يقدمون صورا خيالية هي أبعد ما تكون عن الحقيقة، كما أن بعضهم يُبَيِّتون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعد ما دون ذلك .

ت- التفسير الثالث: إرجاع مضامين السيرة النبوية إلى مصادر نصرانية أو يهودية :

يوشك هذا التصور المسبق أن يأخذ برقاب المستشرقين، ويضع بصماته بجلاء ووضوح على منهجهم في التعامل مع معطيات السيرة النبوية (الوقائع) و ظاهرة النبوة ،وهذا بسبب المحاضن الدينية التي تم تكوينهم فيها سواء كانت كنائس أو أديرة أو توجهات دينية نصرانية أو يهودية .[69]

3.6. هل يستطيع المستشرق تقديم سيرة نبوية كاملة الأركان من ناحية المنهج والمضمون؟:

يخطر ببال الباحث في نهاية هذا المبحث تساؤل جوهري بمثابة الحلقة التي تكمل فراغا مهما في دراسة الردود النقدية للمفكر عبد الرحمان بدوي للآراء الاستشراقية حول

السيرة النبوية وهو هل يستطيع المستشرق تقديم دراسة تاريخية حول السيرة النبوية متكاملة من حيث ناحيتي الشكل والمضمون؟

يجيب الباحث عماد الدين خليل عن هذا التساؤل بتحليل وعمق فيقول:" مهما أعمل المستشرق قدراته العقلية،ومهما اجتهد في تحليلاته المنطقية،ومهما استنفر إمكاناته التقنية وحاول الإفادة مما يُسمى بالعلوم المساعدة أو الموصِلة للحقيقة التاريخية،ومهما ادّعى من حياد وموضوعية،فإنه غير واصل البتة إلى تقديم صيغة أقرب إلى الكمال لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ." [70]

و يواصل الباحث عماد الدين هذا التحليل والتقييم لأعمال المستشرقين بأنه :لن يكون غريبا ،أو يُعد تجاوزا على الواقع القول أن أعمال المستشرقين في السيرة النبوية،على تألق بعض دراساته وعمقها وثرائها، لايمكن أن ترقى بحال إلى المصاف الأول من الأبحاث التاريخية الجادة،ولا يمكن إلا تبقى في المرتبة الثانية أو الثالثة أو حتى العاشرة،إذا لامسنا التعصب النصراني في أعمال الاستشراق مثلما فعل لامنس أو السير وراء التصور المادي كما فعل غيره، وهذا ما ينفي عنها صفة الأبحاث العلمية حين ذاك ولكن عبثا بمقدساتنا باسم العلم،وتحويلا للسيرة النبوية لكي تكون حقلا للتجارب العقلية النقدية الغربية، وهذا ما يوجب علينا رفض التعامل مع العبثية في الطرح،بل نرفض حتى النظر فيه. [71]

و لقد رصد المستشرق الفرنسي إميل درمنغهم ذلك وانتهى إلى نتيجة حددها بقوله"ومن المحزن ألا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة ولن تقوم سيرة على النفي."[72]ثم يتأسف على ما فعلوه في نقدهم للقرآن الكريم والسيرة النبوية مستنتجا ذلك من خلال مغالاتهم في ذلك،إذ يقول:"ومن المؤسف حقا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين في النقد أحيانا،فلم تزل كتبهم رسما،وكانت كتبهم عامل هدم على الخصوص."[73]

و يتضح مما تجمَّع من مادة علمية حول هذا المبحث أن سبب الأخطاء التي وقع فيها بعض المستشرقين في دراسة تاريخ السيرة النبوية هي الأسس التي بنوا عليها كتاباتهم وهي التعصب النصراني على حياة المصطفى عليه الصلاة والسلام،ومبالغتهم في الاعتماد على الشك غير العلمي، وانتقاء الروايات الشاذة الملفقة والموضوعة وبناء آراء عليها،كما أن المستشرق يعوزه في كثير من الأحيان الرجوع إلى المصادر التاريخية المتخصصة في السيرة النبوية، وهي الكتب الحديثية والتي اعتنت بتمحيص الروايات سندا ومتنا .

الخاتمة :

يمكن الخروج بجملة من الاستنتاجات في نهاية هذا المقال نبرزها فيما يلي:

- اتضح لنا أن موسوعة المستشرقين لعبد الرحمان بدوي تشكل أحد الروافد الحيوية في الدراسات التاريخية الاستشراقية،وبالتالي فهي تفرض ثقلها في الدوائر الأكاديمية المتخصصة في العلوم الإنسانية،لاسيما وأن هناك حاجة ملحة للاستفادة منها في التراجم التي تتضمن تعقيبات وردود نقدية رصينة على الإنتاج العلمي الاستشراقي لاسيما في حقل الدراسات التاريخية الوسيطة على وجه أخص ،وفي باقي العلوم الإنسانية بوجه عام،وبناءا على ذلك فإن الاستعانة بها في المذكرات والأطاريح الجامعية مطلب ملح على الباحث المتخصص.
- كان لتحكم عبد الرحمان بدوي بناصية عدد من اللغات الأجنبية أثر بالغ في الانفتاح و الاطلاع على الرصيد العلمي للمستشرقين ومعرفة توجهاتهم في مختلف التخصصات ومن بينها تاريخ السيرة النبوية.
- برزت من خلال الاستدراكات والمراجعات النقدية التي أوردها عبد الرحمان بدوي في موسوعته توافقا الى حد كبير مع المصادر التاريخية المتخصصة في السيرة النبوية،وكذا مع آراء الباحثين العرب المسلمين على غرار شوقي أبو خليل وعماد الدين خليل،و كذا المستشرقين المنصفين أمثال توماس أرنولد،ووإميل درمنغهم.

- إن المنهج الذي استند إليه عبد الرحمان بدوي منهج علمي متماسك،يقوم على أسس الموضوعية والوسطية ؛وتجلى ذلك في إنصاف كثير من المستشرقين الذي أسهموا في تحقيق ونشر عدد من عيون كتب التراث العربي الإسلامي بمختلف أنواعه.
- إن الآراء التي بثها لامانس تفتقر إلى التوثيق العلمي للمصادر والمراجع ،وبالتالي فمؤلفاته يعوزها إلى المصداقية والموضوعية.
- ظهر من خلال الدراسة إدراك المفكر عبد الرحمان بدوي لخطورة امتزاج صفة الرهبنة وممارسة التنصير مع صفة الاستشراق،والتي ولّدت نظرة متعصبة اتجاه السيرة النبوية الشريفة .
- تبين لنا أهمية توظيف المصادر الحديثية في تمحيص كثير من الروايات التاريخية الخاصة بالسيرة النبوية خصوصا في بعض القضايا التي قام بإثارتها المستشرقون بنشاط للطعن في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام على غرار قصة الغرانيق.
- يتضح لنا من خلال هذا البحث أهمية توظيف المراجع الثلاثية التي ألفها عبد الرحمان بدوي (موسوعة المستشرقين، دفاع عن القرآن ،دفاع عن محمد) في الدراسات الاستشراقية عموما ، والدراسات المتعلقة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- اتسم النقد التاريخي للمفكر عبد الرحمان بدوي باستخدام الحجج والبراهين .
- غلب على الدراسات الاستشراقية الخاصة بالسيرة النبوية طابع التفسير المادي،ومن بينها تفسيرات الفتوحات الإسلامية التي انطلق منها المستشرقون و تتنافى مع حقائق التاريخ.
- لعبت المحاضن الدينية دورا في انعكاس صبغة الرهبنة على الاستشراق. وتجسد ذلك في المستشرق لامانس.

- اتسم أسلوب عبد الرحمان بدوي بأنه قريب المأخذ ،وسهل المتناول،سلس العبارة ،كما أن مصطلحاته النقدية دقيقة تعبر بوضوح عن المقصود.
- إن موقف عبد الرحمان بدوي من الاستشراق مرّ بتحول جوهري ،فقد بدأ بالاعجاب والثناء على المستشرقين جملة وتفصيلا،ثم توجه إلى التمحيص والتمييز بين ما هو مفيد للحضارة العربية الاسلامية وما هو مسيئ لها .
- تعكس التعقيبات النقدية للاراء الاستشراقية تمكن عبد الرحمان بدوي من تاريخ السيرة النبوية.
- من أبرز ملامح الدراسات الاستشراقية في السيرة النبوية هو الانتقائية في الروايات والمصادر ،وهذا يرمي إلى إعطاء مشوهة عن الرسالة المحمدية .و من أبرز ملامحها قصة الغرانيق.

و من أهم التوصيات التي يمكن تقديمها هو توجيه الباحثين المتخصصين في التاريخ الوسيط إلى الاستفادة من موسوعة المستشرقين في مجال استثمار الردود النقدية على الدراسات الغربية المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية هذا من ناحية، و بغية اكتساب ملمح الموضوعية في نقد آراء المخالف في البحث العلمي التاريخي.

---

[1] – عبد المنعم فؤاد :من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام،الطبعة الأولى،مكتبة العبيكان،الرياض ،المملكة العربية السعودية، 1422هـ/2001م،ص ص 15،16.

[2] – سعدون الساموك:الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية،الطبعة الأولى،دار المناهج،عمان،الأردن،1431هـ/2010م،ص 13؛وأشار إلى صعوبة تحديد مفهوم الاستشراق كذلك علي حسني الخربوطلي:المستشرقون والتاريخ الإسلامي،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 1988م،ص ص 11،15 .

[3] – زقزوق محمود حمدي :الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دار المعارف،القاهرة،مصر،د.ت.ن، ص 18

[4] – عبد المنعم فؤاد : المرجع السابق، ص 18.

[5] – نفسه : ص 20 .

[6] – مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون،دار الوراق ، المكتب الإسلامي،بيروت،لبنان،د.ت.ن، ص ص 20،21 .

[7] – مصطفى السباعي: المرجع السابق ، ص ص 21،22 .

[8] – نفسه : ص 23 .

[9] – نفسه : ص ص 24،25.

[10] ساسي سالم الحاج:نقد الخطاب الاستشراقي"الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية"،الطبعة الأولى،دار المدار الإسلامي،بنغازي،ليبيا،2002 م،ص ص 36،37.

[11] – عبد القادر بن محمد بن يحيى الغامدي:عبد الرحمان بدوي ومذهبه الفلسفي في دراسة المذاهب،مكتبة الرشد(ناشرون)،الطبعة الثانية،1438هـ/ 2017م، ص ص 19 ، 20 ؛ عبد الرحمان بدوي:سيرة حياتي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، 2000،ج02، ص 249 ؛ عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،لبنان، 1984م،ج01،ص 295.

[12] – عبد القادر بن محمد بن يحيى الغامدي: المرجع السابق، ص ص 27-31.

[13] – من أشهر طبعاتها الطبعة الثالثة الجديدة و المنقحة والمزيدة بثمانين مادة جديدة وهي المعتمدة في الدراسة،أنظر : عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين،الطبعة الثالثة ،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، 1993م .

[14] – عبد الرحمان بدوي :دفاع عن القرآن ضد منتقديه،ترجمة كمال جاد الله ،الدار العالمية للكتب والنشر،د.ت .ن

[15] – عبد الرحمان بدوي: دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره،ترجمة كمال جاد الله،الدار العالمية للكتب والنشر، د. .ت.ن،ص ص 05،49.

[16] – إدوارد سعيد:الاستشراق(المفاهيم الغربية للشرق)،ترجمة محمد عناني،الطبعة الأولى،دار رؤية للنشر، القاهرة،مصر،2006 م،ص ص83 – 197 .

[17] – فؤاد زكريا: نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة، مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،د.ت .ن،ص 53 .

[18] – أنظر على سبيل المثال: صلاح الجابري: الاستشراق" قراءة نقدية"،الطبعة الأولى،دار الأوائل،دمشق،سوريا،2009م،ص ص 189،195 .

[19] – محمد فاروق النبهان:الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره،المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،الرباط،المملكة المغربية ،1433هـ/2012م ،ص ص 21-33.

[20] – عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص 546.

[21] – حول تقييم جهود المستشرقين في النشر أنظر:عبد العظيم الديب:المستشرقون والتراث،الطبعة الثالثة،دار الوفاء،المنصورة،مصر، 1413هـ/1992م ، ص ص 07-26.

[22] – من أشهر طبعاته ياقوت الحموي:معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)،تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان،1993 م.

[23] – من أشهر طبعاته أبو العلاء المعري:رسائل أبي العلاء وشعره،عني بنشره وطبعه حسين حسنين،مطبعة السعادة ، مصر، د.ت .ن

[24] – من أشهر طبعاته: أبو علي المحسَّن بن علي التنوخي:نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة،تحقيق عبود الشالجي،الطبعة الثانية،دار صادر ،بيروت،لبنان،1995م .

[25] – من أشهر طبعاته :أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم،تحقيق سيد كسروي حسن،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1424 هـ / 2003 م.

[26] عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق، ص 546؛ ومن الأبحاث المغرضة كذلك ما جاء به مرجليوث فيما يتعلق بالشعر الجاهلي. أنظر هذه المسألة والرد عليها في: عبد الرحمان بدوي:دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،الطبعة الأولى ،1979م، ص ص 87-129؛ديفيد صمويل مرجليوث: أصول الشعر العربي،ترجمة وتعليق ودراسة إبراهيم عوض،دار الفردوس،1427هـ/ 2006م ، ص ص 117 ،159 .

[27] – ولد في يوم 03 سبتمبر 1813م جنوب النمسا ، وحصل على الجنسية البريطانية في سنة 1836،وحصل على درجة الماجستير في اللاهوت من جامعة ليدن بهولندا برسالة عنوانها "أوليات الطب العربي في عهد الخلافة"، من اهم كتبه : تحقيق كتاب "اصطلاحات الصوفية"لعبد الرزاق الكاشاني،ومختارات من المؤلفين العرب،و مؤلفه الرئيسي هو "حياة محمد وتعاليمه وفقا لمصادر لم تستخدم حتى الآن." و توفي في 19 ديسمبر 1893م.عبد الرحمان بدوي:موسوعة المستشرقين، ص ص 28، 29 .

[28] – عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق ، ص 31 .

[29] عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق ، ص 31 .

[30] – نفسه : ص 31 .

[31] نفسه : ص 31 .

[32] نفسه : ص 31 .

[33] – جوستاف بفانموللر :سيرة الرسول في تصورات الغربيين،ترجمة محمود حمدي زقزوق،طبع دون معلومات للنشر، ص 90 .

[34] –آتيين دينيه:محمد رسول الله ، ترجمة:عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم،دار المعارف،الطبعة الثالثة،مصر.

[35] نفسه : ص 31 .

[36] – سورة النجم :الآية 19،20.

[37] – أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي:الشفا بتعريف حقوق المصطفى،حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبده علي كوشك،الطبعة الأولى،جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم(وحدة البحوث والدراسات)،دبي،الإمارات العربية المتحدة،1434هـ/2013م، ص 644 .

[38] – أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي :المصدر السابق،ص ص 643-646.

[39] – عياض :المصدر السابق،ص ص 643-646.

[40] – شوقي أبو خليل : الإسلام في قفص الاتهام،الطبعة الخامسة،دار الفكر،دمشق،سوريا،1403هـ/1982م،ص ص81،88 ؛وأنظر أيضا انتقادات المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني لهذه الحكاية سندا ومتنا:نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق،المكتب الاسلامي،بيروت،لبنان،1417هـ/ 1996م ، ص ص 10- 34 / و ص ص 35-36 .

[41] عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق ، ص 31 .

[42] عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق ، ص 31 .

[43] عبد الرحمان بدوي : نفسه ،ص ص 31 ،32 .

[44] عبد الرحمان بدوي : نفسه ،ص 107.

[45] – **Leone Caetani**:Annali dell'Islam,Ulrico Hoepli,Milano,1905

تقع حوليات الإسلام(من القرن01إلى 35هـ) في 08 مجلدات وهي باللغة الإيطالية غير مترجمةإلى العربية تمت طباعتها في ميلانو سنة 1905م وهي متاحة للتحميل عبر النت.

[46] – عبد الرحمان بدوي : نفسه،ص 493.

[47] عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص 496.

[48] عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق ، ص 496.

[49] نفسه : ص 496.

[50] – جميل عبد الله محمد المصري :دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين،دار القلم ،دمشق ،الدار الشامية،بيروت،لبنان،ص ص 73،77.

[51] –توماس أرنولد (1864م–1930م) مستشرق بريطاني شهير،وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن،ثم اختير عميدا لها.من أهم آثاره: الدعوة إلى الإسلام. نجيب العقيقي : المستشرقون،الطبعة الثالثة ،دار المعارف،مصر،1964م،ص 504 .

[52] – توماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام،ترجمة حسن إبراهيم حسن،الطبعة الثالثة،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،مصر،1971م،ص ص 25،34.

[53] – شوقي أبو خليل :أطلس انتشار الإسلام،الطبعة الأولى،دار الفكر،دمشق ،سوريا،1432هـ/ 2011م،ص ص 25 - 34 .

[54] عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق ، ص 496.

[55] – نفسه : ص 378.

[56] – نفسه: ص 378 .

[57] – نفسه : ص 503.

[58] – نجيب العقيقي:المستشرقون،ج02،ص ص 1068،1069 .

[59] – حسن بزاينية : نقد مقدمات الأب لامانس النقدية، دراسات استشراقية، العدد 11،ربيع 2017 م ، ص 74 .

[60] – وليم موير(1819م–1905م):مستشرق ومبشر وموظف إداري إنجليزي،كان شديد التعصب للنصرانية،من مؤلفاته "القرآن تأليفه وتعاليمه"،و"الجدال مع الاسلام" ،وكتبه كلها تسودها نزعة تبشيرية شديدة التعصب ،والتحامل الشديد على الإسلام.عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق،ص ص578،579.

[61] – جولد تسيهر(اجنتس):(1850م–1921م):مستشرق يهودي ولد في المجر ،من أشهر كتبه "محاضرات في الإسلام"و"اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين". عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق،ص ص 197،201.

[62] – عبد الرحمان بدوي:المرجع السابق، ص 504.

[63] – عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة النبوية ، الطبعة الأولى،دار ابن كثير،دمشق ،سوريا ،1426هـ/ 2005م ، ص 25 .

[64] – عبد الرحمان بدوي:المرجع السابق، ص 504.

[65] – Henri Lammens,Fâtima et les filles de Mohamet,notes critiques pour l´études de la sîra,Roma,Pontifici Instituti Biblici,1912,p139.

[66] – عبد الرحمان بدوي:المرجع السابق، ص 504.

[67] – إميل درمنغهم :مدير مكتبة الجزائر،من آثاره بمعاونة محمد الفاسي قصص من فاس،وقصص جديدة من باريس،وله "حياة محمد" المطبوع باسم "الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة"،وهو خير ما صنَّفه مستشرق عن النبي– صلى الله عليه وسلم–ويرجع إليه علماء المسلمين.العقيقي:المستشرقون،ص ص 297،298.

[68] – إميل درمنغهم:الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة،ترجمة عادل زعيتر،الطبعة الثالثة،الشعاع للنشر والتوزيع،المعادي،مصر،2005م، ص 13.

[69] – عماد الدين خليل: المرجع السابق ، ص ص 24–33 .

[70] – نفسه: ص ص 24–33 .

[71] – نفسه:ص 11.

[72] – إميل درمنغهم:المرجع لسابق، ص 13.

[73] – نفسه: ص 12.